حوار الإسلام مع الغرب بين المحفزات والمعوقات

د/ إبراهيم التهامي
أستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
دبي – الإمارات العربية المتحدة

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فالموضوع الذي أتناوله في هذا البحث موضوع جديد ومهمّ في الوقت ذاته، ولا أعني بالجدة أنه لم يُتطرق إليه من قبل، بل إنه من هذه الناحية قديم قدم هذا الدين، فمنذ أن جاء الرسول ﷺ بهذا الدين الجديد، دين الإسلام، وهو يدعو أصحاب الديانات الأخرى وبخاصة أهل الكتاب منهم للحوار، لأنهم أهل كتاب ويفترض فيهم أن يكونوا أول من يُسلِم ويؤمن بهذا الدين وبهذا الرسول ﷺ، لأنه أولا ليس بدعا من الرسل، وثانيا لأن كتبهم بشّرت به، بل كانوا ينتظرون قدومه وكان اليهود منهم خاصة يتوعدون المشركين في المدينة المنورة من الأوس والخزرج بأنه قد أظل زمان نبي سيقتلونهم به قتل عاد وإرم. ولكن لما جاء هذا النبي وكان من غير بني إسرائيل كفروا به وعادوه وتحالفوا مع المشركين ضده، وهذا ما حكى القرءان الكريم عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: 89).

فالإسلام إذاً دعا أصحاب الديانات الأخرى للحوار والمناقشة منذ البداية، فالحوار من هذه الناحية قديم، وليس هذا الذي أعنيه، ولكني أعني بالجدة هنا أن موضوع الحوار مع الغرب أصبح مطروحا بقوة اليوم على المستوى الفكري والديني والحضاري، وأصبحت تُعقد له الملتقيات والندوات والمؤتمرات في البلاد العربية والإسلامية وفي بلاد الغرب وكأنه جديد، وكأنّ المسلمين لم يعرفوا هذا النوع من الحوار من قبل ولم يتطرقوا إليه.

والموضوع مهم أيضا، لأن الواقع أصبح يفرضه، وبخاصة ونحن نعيش عصر العولمة التي أصبح العالم فيها قرية صغيرة، وأصبح تبادل المعلومات والتعاون على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والأمني قائما بقوة، فلا يعقل مع هذا الواقع أن يظل كل طرف بعيدا عن الآخر لا يجتمع به ولا يحاوره ولا يطرح معه الأشياء التي يختلف معه فيها، وهذا ما سأتطرق إليه في هذا البحث وأرجو أن أوفّق فيه وأبيّن بعض ما أردت الوصول إليه.

وقد تناولت في هذا البحث الموضوعات التالية:

1- تعريف الحوار في اللغة وفي الاصطلاح.

2- أهمية الحوار ومشروعيته.

3- محفّزات الحوار.

4- معوّقات الحوار.

وكان منهجي في هذا البحث منهجا مقارنا بين ما قدمه المسلمون للآخرين عندما كانوا هم سادة الدنيا، وبين ما فعله الآخرون بهم عندما تمكّنوا منهم، وقد حاولت أن أكون موضوعيا في معالجتي، واعتمدت فيما كتبت على ما كتبه رجالهم ومفكّروهم الذين طرحوا التعصّب جانبا وشهدوا بالحقّ، من باب "والحقّ ما شهد به الأعداء" وكان قصدي من كتابة هذا الموضوع المساهمة في الجدل القائم حوله بين مؤيّد للحوار ومعترض عليه، وبيّنت بأنّ الحوار على ما هو عليه الآن لن يحقّق أهدافه المرجوّة منه، وما هو إلاّ تضييع للوقت والجهد والمال، كما بيّنت أنّ السبب في ذلك الفشل هو الغرب الذي لا يريد لهذا الحوار أن يحقّق أهدافه، بل إنه- ربما- يضحك علينا من خلاله.

هذا، وأتمنّى أن أكون بهذا البحث قد سلّطت الضوء على بعض جوانب الموضوع، فإن كنت قد أصبت فذلك من الله وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، ولكن حسبي أنني حاولت واجتهدت.

1- تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح:

وقبل التطرق إلى الأمور الجوهرية في الموضوع والنقاط الأساسية فيه والمتعلقة بالحوار مع الغرب والمحفّزات التي تساعد عليه وتدفعه، والمعوّقات التي تقف في

وجهه وتمنعه من أن يحقق أهدافه ويصل إلى غايته، قبل التطرق إلى هذا كله أودّ أن أبدأ بتعريف الحوار في اللغة والاصطلاح كبداية أساسية ولازمة للبحث:

أما في اللغة:

فالحوار هو من الحَوَر، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء، والمُحاورةُ: مُراجَعة الكلام[1]، وقال في جمهرة اللغة: "الْحور: مصدر حَار يحور حورا إذا رَجَعَ"[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق14] أي أن لن يرجع إلى الله، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ"[3]، أي رجع على صاحبه، ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: "أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ"[4] وفي رواية أخرى: "لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ"[5].

وهذا المعنى موجود في الحوار الذي نحن بصدده لأن من بين معانيه أنه يقصد منه المراجعة في الكلام.

ويختلف الحوار من هذه الناحية عن الجدال، من حيث أن الحوار هو مراجعة الكلام وتبادله بين المتحاورين للوصول إلى غاية محددة، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ (الكهف: 34) وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة: 1)، أما الجدال فأكثر ما يرد في النصوص الشرعية القرآنية والحديثية بالمعنى المذموم كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ (غافر: 5). وكما قال ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك الجدال وإن كان محقا"[6]، ولكن هذا ليس دائما، فقد يرد الجدال – أيضا- بالمعنى الممدوح في النصوص الشرعية، وعلى هذا فهو ينقسم في الاصطلاح الشرعي إلى قسمين: قسم مذموم وهو الجدال بالباطل، وقسم محمود ومشروع وهو الجدال بالحق، وهو الذي استعمله الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (هود: 32)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت: 46) وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)، يقول الإمام القرطبي في معنى هذه الآيات مشيرا إلى دلالتها على إثبات المناظرة في الدين: "وتدل على إثبات المناظرة والمجادلة

وإقامة الحجة، وفي القرءان والسنة من هذا كثير لمن تأمله، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ (البقرة: 111)، وقد وصف خصومة إبراهيم- عليه السلام- مع قومه وردّه عليهم في عبادة الأوثان كما في سورة الأنبياء وغيرها، وقال في قصة نوح- عليه السلام- : ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ (هود: 32)، وكذلك مجادلة موسى مع فرعون إلى غير ذلك من الآي، لأنه لا يظهر فرق بين الحقّ والباطل إلاّ بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل"[7]، ويقول ابن تيمية: "فهذا النوع من المجادلة قد يكون واجبا أو مستحبا وما كان كذلك لم يكن مذموما في الشرع"[8]، فالجدال بالحق وبالتي هي أحسن مرادف للحوار الإيجابي البناء.

فالحوار على هذا هو مناقشة بين طرفين أو أطراف متعددة يقصد منه "تصحيح كلام وإظهاره وإثبات حق ودفع شبهة ورد فساد من القول والرأي"[9].

2. أهمية الحوار ومشروعيته:

والحوار على هذا له أهمية كبيرة في تعريف المخالف بدين الإسلام وإطلاعه عليه وله أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن القول بأن الحوار يأتي كنتيجة للدعوة إلى الله، والمسلم مطالب بدعوة الآخرين إلى الإسلام، وهذا هو الذي كان يحصل للنبي ﷺ مع المخالفين كما حدث له مع وفد نصارى نجران[10]، والقصة جاء ذكرها في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 64).

ومما يدل على مشروعية الحوار قصة خلق آدم عليه السلام وما دار فيها وبسببها من حوار بين الله والملائكة، وبين الله وإبليس عليه لعنة الله.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 30).

وقال: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾(ص: 75).

وأيضا ما دار بين الرسل والأنبياء- عليهم السلام- وأقوامهم من حوارات ونقاشات، من ذلك ما جاء في قصة نوح- عليه السلام- والتي جاء ذكرها في

عدة مواضع من القرءان، منها ما ورد في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: 59-62) وكذلك قصة صالح مع قومه وقصّة موسى مع قومه وعيسى مع قومه، كما نقل لنا القرءان وعرض علينا حوارات أخرى وقعت بين مؤمنين وكافرين أو بين مؤمنين وجاحدين، من ذلك الحوار الذي دار بين صاحب الجنّتين وبين المؤمن القانع بما عند الله، قال تعالى حكاية عنهما: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ (الكهف: 32- 41)، وكذلك الحوار الذي دار بين قارون المغرور بماله وملكه وقوته وبين قومه الذين نصحوه بألاّ يغترّ بما عنده ولا يبغي الفساد في الأرض، ولكنه لم يستمع لنصيحتهم واستمر في غروره وعتوّه حتى نال ما نال من الجزاء على ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ إلى آخر الآيات من (سورة القصص76-79).

3- محفّزات الحوار:

إن محفّزات الحوار مع الغرب من جانب الإسلام كثيرة جدا، والإسلام ليس لديه مشكلة في الحوار مع الآخرين، فهو قد مارسه طويلا منذ أن جاء، مارسه مع المخالفين وأمر أتباعه بممارسته، والقرءان الكريم كما ذكرت في البداية مليء بالحوارات التي وقعت بالفعل سواء بين الله والملائكة أو بين الله وبين إبليس عليه اللعنة، أو بين الأنبياء وبين أقوامهم المخالفين والمعاندين، أو بين

المؤمنين وغيرهم، وهذه الحوارات شملت أصحاب الديانات من أهل الكتاب اليهود والنصارى، كما شملت المشركين والوثنيين الذين ليس لهم دين، وشملت أصحاب الاعتقادات الباطلة الأخرى وشملت أهل الفسق والذنوب، وورود هذه الحوارات في القرءان الكريم وبهذا الحجم ما هو إلا دليل قاطع على مشروعية الحوار وعلى أن الإسلام انتشر بالإقناع وليس بالإكراه كما يزعم خصومه، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة: 256).

وقد مارس النبيّ ﷺ الحوار مع المخالفين والمعاندين من المشركين واليهود في مكة والمدينة المنورة كما أمره ربه سبحانه وتعالى، وكتب السنة والسيرة مليئة بذلك، وكذلك مارسه الصحابة والتابعون وأتباعهم إلى اليوم، وكل ذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ (العنكبوت: 46) وقوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل: الآية125) وغير ذلك من النصوص في الحثّ على الحوار.

فالإسلام إذاً ليس لديه مشكلة مع الحوار فهو قد حثّ عليه ومارسه طويلا، وفي الإسلام لا يقبل الإيمان من أحد إلا ما كان عن قناعة وعن أدلة، لا يقبل إيمان إذا كان بالإكراه، وهذا من أعظم الأدلة على إنصاف الإسلام للمخالفين.

ـ نماذج من الحوارات التي وردت في القرءان الكريم:

بالإضافة إلى ما تقدم من الحوارات، فقد ذكر لنا القرءان موضوعات دارت حولها حوارات ومناقشات، وأهمّ هذه الموضوعات هي التوحيد والنبوة والبعث، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام14]، وقوله: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ (الأنعام: 19)، وقوله تعالى في تقرير التوحيد أيضا: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ (الرعد: 16) وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۙ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (سبأ: 24)، وقال في محاورة أهل الكتاب: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا

نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: 64- 65)، وغير ذلك كثير في القرءان.

فورود هذه الحوارات في القرءان الكريم هو أكبر دليل على مشروعية الحوار وقيمته وأهميته وأن الإسلام ليس لديه مشكلة مع الحوار.

ويمكن إجمال محفّزات الحوار فيما يأتي:

أ- في الجانب النظري:

وهذا الجانب في الإسلام متوفر وبشكل كبير جدا – ولله الحمد- وقد ألمحت إليه وأشرت في الصفحات السابقة وبيّنت بأن القرءان الكريم والسنّة النبوية مليئان بالدعوة إلى الحوار حتى مع المخالفين، وذكرت بأن هذا هو الذي جعل المسلمين يلتزمون بتلك التعليمات ويطبّقونها عبر العصور الإسلامية ويتمثّل هذا الجانب فيما يلي:

1- إن الإسلام يأمر أتباعه بالإيمان بجميع الرسل- عليهم الصلاة والسلام- وبألا يفرّقوا بين أحد منهم، ويجعل عدم الإيمان بأحدهم كعدم الإيمان بجميعهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ ﴾ (البقرة: 285) ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾ (النساء: 150.151) ويقول أيضا: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ (آل عمران119) أي أنكم أيها المسلمون تؤمنون بجميع الكتب المنزلة من عند الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابكم، أي القرآن الكريم.

2- إن الإسلام يخاطب اليهود والنصارى الذين حرّفوا الدين وكفروا بالرسل وبما جاءت به أنبياؤهم، يلقبهم ويخاطبهم بـ (أهل الكتاب) وهو اسم كما يقول الإمام الرازي رحمه الله- في تفسيره: "من أحسن وأكمل الألقاب حيث جعلهم أهلا لكتاب الله، وهو يدل على أن قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطب وفي تطييب قلبه"[11]، ورغم أنهم كفروا بالله ورسله الذين بعثهم الله

إليهم عندما خالفوهم فيما جاؤوهم به من وجوب الإيمان بجميع الرسل، فلم يفعلوا وآمنوا ببعضهم فقط وكفروا بالباقين، والإيمان ببعض الرسل وعدم الإيمان بالبعض الآخر هو كفر ـ كما صرح بذلك القرآن الكريم ـ حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء 150ـ151]، وأيضا خالفوهم عندما ابتدعوا عقائد مخالفة لما جاءت به أنبياؤهم مثل القول بالتثليث والقول بأن عيسى وأمه مريم- عليهما السلام- إلهان مع الله، والقول بالتجسيم عند اليهود، والقول في الأنبياء ما لا يجوز ولا ينبغي، وما إلى ذلك من انحرافات في العقائد، وقد جاء التصريح بكفرهم في القرءان الكريم في عدة مواضع، من ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ (المائدة: 73) وقوله: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ (المائدة: 72) وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ (المائدة: 116) وقوله تعالى حكاية عن اليهود وجرائمهم ومخازيهم: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: 181).

3- لقد صرح الله بكفرهم ومع ذلك يخاطبهم بلقب أهل الكتاب، رغم أنهم لم يعودوا متمسكين بهذه الكتب التي نزلت عليهم، بل حرّفوها، ولكن يخاطبهم بهذا اللقب حتى يستميلهم لعلهم يفيئون إلى رشدهم ويرجعون عن غيّهم ويؤمنون بالدين الحق وبالرسول ﷺ الذي بشّرت به كتبهم التي جاء بها أنبياؤهم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ (الأعراف 157) وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ (الصف 6).

4- لقد أباح الله للمسلمين طعام أهل الكتاب والعفيفات من نسائهم، وهذا أيضا فيه نوع من المعاملة الخاصة لليهود والنصارى، لأنهم أهل كتب منزلة من عند الله وهم يشتركون في هذا الجانب مع المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ

أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ (المائدة: 5) "وهذا يكشف لنا صفة من صفات السماحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي أو تربطهم به روابط الذمّة والعهد من أهل الكتاب، فهو لا يكتفي بأن يترك لهم الحرية الدينية يمارسون شعائرهم كما يشاؤون ثم يعتزلهم، وإنما يشملهم من المشاركة الاجتماعية والمودة والمجاملة والخلطة، فيجعل طعامهم حلاّ لهم ليتمّ التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة وليظلّ المجتمع كله في ظلّ المودّة والسماحة، وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم طيبات للمسلمين ويقرن ذكرهنّ بذكر العفيفات من المسلمات، وهي سماحة لا توجد في غير الإسلام... وهكذا يبدو أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية ولا حواجز فيه بين أصحاب العقائد المختلفة التي تظلها راية المجتمع الإسلامي فيما يختص بالعشرة والسلوك"[12]، ويقول مصطفى السباعي- رحمه الله- : " فلقد بنى الإسلام شريعة التسامح في علاقاته على أساس متين فلم يضق ذرعا بالأديان السابقة، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة، رقيق الجانب، ليّن القول، فيحسن جوارهم، ويقبل ضيافتهم، ويصاهرهم حتى تختلط الأسرة وتمتزج الدماء"[13].

ب ـ المحفّزات العملية:

هذه النقاط التي ذكرتها تتعلق بالجانب النظري من هذا الدين لمحفّزات الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، وبخاصة أهل الكتاب منهم، اليهود والنصارى، لأنهم أهل كتب منزّلة، ويفترض فيهم أن يكونوا مختلفين عن غيرهم لأنهم يعرفون عن دين الإسلام ونبيه ما لا يعرفه غيرهم.

أما المحفّزات العملية والتطبيقية من هذا الدين فهي كثيرة أيضا وأعني بها الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ وقام بها المسلمون بعده تجاه الآخرين، وسأذكر نماذج منها:

1- الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ في هذا المجال:

ونبدأ بالرسول ﷺ الذي كان أول من مدّ يده بالسلام لأهل الكتاب- اليهود- عندما هاجر إلى المدينة المنورة حيث كان أول عمل قام به ﷺ تجاههم والذي

يدخل في هذا الإطار، هو كتابته للعهد بين المسلمين واليهود، والذي وادعهم فيه، وأعطاهم حقوقهم، وكان مما جاء في هذه الوثيقة: "وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ[14] إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ"[15]، وغيرها من البنود التي تدل على مدى سماحة الإسلام مع المخالفين، ولكنهم سرعان ما نقضوا العهد وتآمروا عليه ﷺ وتحالفوا مع مشركي مكة ومع الأحزاب ضده ولذلك قاتلهم بعد ذلك، أي بعد نقضهم لهذا العهد وغزاهم وفتح أرضهم، وأجلاهم من المدينة المنورة.

ومن ذلك أيضا قبوله لهداياهم، فقد قبل هديّة زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلاّم بن مشكم، وهي عبارة عن شاة مصليّة (مشويّة)، ولكنها خدعته بها، حيث وضعت له السمّ فيها، ومات من تلك الأكلة بعض الصحابة الذين أكلوا منها ممن كان معه ونجا هو ﷺ لأنّ الشاة أنطقها الله وأخبرته بأنها مسمومة[16]، وقد قرّر العلماء قبول هدية الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب منهم، قال ابن قدامة في المغني: " ويجوز قبول هدية الكفار لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر".[17]

ومن ذلك أنه ﷺ كان يغشى اليهود في دورهم ويدعوهم إلى الإسلام، فقد روى مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه ﷺ قال: "انطلقوا إلى يهود خيبر" فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول الله ﷺ فناداهم فقال: "يا معشر اليهود أسلموا تسلموا" فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم[18].

ومن ذلك أيضا أنه كان- عليه الصلاة والسلام- يزور مرضاهم ويواسيهم، فعن أنس - رضي الله عنه- قال: إنّ غلاما ليهود كان يخدم النبي ﷺ فقال له: "أسلم فأسلم الغلام"[19].

وتبدو سماحة الإسلام في هذه الحادثة ليس فقط في عيادته ﷺ لهذا الغلام اليهودي ودعوته للإسلام ولكن تبدو قبل ذلك في استعماله له خادما عنده وعطفه عليه.

ومنه أيضا أنه كان- عليه الصلاة والسلام- يعامل أصحاب الديانات الأخرى ويتعامل معهم بالصدق والأمانة في البيع والشراء والأخذ والعطاء، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ "اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ، وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ"[20].

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وأسس الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي لم ينس اليهود وأصحاب الديانات الأخرى، فكتب العهد لليهود وضمن لمن عاش منهم بين ظهراني المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبيّ ﷺ لمن ظلمه فقال: "ألا من ظلم معاهدا أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"[21]، وشدّد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقالﷺ: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما"[22].

2- المحفّزات العمليّة في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم:

هذه النماذج التي ذكرتها من سماحة صاحب الشريعة- عليه الصلاة والسلام- مع أصحاب الديانات الأخرى، هي جزء يسير مما قدّمه النبي ﷺ لهم، وكيف لا يكون كذلك وهو المبعوث رحمة للعالمين فقد قال تعالى ذكره: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء 107)، وهو الرحمة المهداة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ"[23]، وقد اتبع خلفاؤه بعده المنهج نفسه، واقتدوا به- عليه الصلاة والسلام- في التعامل معهم، حيث عاملوهم بالحسنى، وحموهم وأغنوا فقراءهم عن المسألة ووفّروا لهم الحياة الكريمة، وقد عاش أصحاب الديانات الأخرى في كنفهم وبين ظهراني المسلمين حياة كريمة، ولم يجبروا على ترك معتقداتهم أو يضطهدوا في دينهم أو يكرهوا على الدخول في الإسلام، وهذه نماذج من تلك المعاملة في عهد الخلفاء الراشدين:

- فمن سماحتهم ومعاملتهم الحسنة مع أصحاب الديانات الأخرى ما وقع في خلافة أبي بكر- رضي الله عنه- من أن خالد بن الوليد كتب في عقد الذمة

لأهل الحيرة بالعراق وكانوا نصارى ما يلي: "وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدّقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله"[24].

وكان أبو بكر يوصي الجيوش المسلمة عندما يجهزها للحرب فيقول لهم: "وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم "[25].

وهذا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب يوصي بأهل الذمة "أن يُوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"[26].

ومرّ عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- ذات يوم بباب قوم فوجد أمام الباب شيخا كبيرا ضريرا يسأل فضرب عضده من الخلف وقال: "من أيّ أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال عمر: فما ألجأك إلى هذا؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وانطلق به إلى بيته فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: "انظر هذا وضُرَباءَه (أمثاله) فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ووضع عنه الجزية وأجرى له راتبا"[27].

ولما فتح الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بيت المقدس التي كانت بيد النصارى كتب لهم كتابا بالأمان جاء فيه: "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا[28] من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم أن لا تسكن ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم ولا يسكن معهم أحد من اليهود"[29]، إلى غير ذلك من البنود التي تدل على أن الإسلام لم يدخل البلاد الأخرى غازيا ولكنه دخلها فاتحا من أجل نشر القيم والخير والحضارة، وهي دليل على سماحة هذا الدين مع أهل الديانات الأخرى وبخاصة - كما قلت- أهل الكتاب منهم.

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز وقعت نماذج من هذا التسامح الذي ليس له نظير في أية ديانة أخرى، فقد كتب إلى عدي بن أبي أرطاة يقول له: "وانظر من قبلك من أهل الذمّة قد كبر سنّه، وضعفت قوّته، وولّت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحهم".

وعندما أمر عمر بن عبد العزيز مناديه أن ينادي: "ألا من كانت له مظلمة فليرفعها" قام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: "يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟ قال الذمي: العباس بن الوليد اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر بن عبد العزيز: " نعم، كتاب الله أحقّ أن يتّبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه ضيعته فردّها عليه"[30].

وفي عهد الرشيد كانت وصية القاضي أبي يوسف له بأن يرفق بأهل الذمة حيث قال له: "ينبغي يا أمير المؤمنين، أيّدك الله، أن تتقدم في الرفق بأهل ذمّة نبيّك وابن عمّك محمد - عليه الصلاة والسلام - والتفقّد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلّفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم"[31].

وهكذا كان دأب الخلفاء من بعد، يعاملون أهل الديانات الأخرى بالحسنى، وقد شهد بهذه السماحة أصحاب هذه الديانات أنفسهم وكتبوا ودوّنوا هذه الشهادات، من ذلك ما كتبه نصارى الشام سنة 13هـ إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح، يقولون له: "يا معشر المسلمين أنتم أحبّ إلينا من الروم وإن كانوا من ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكفّ عن ديننا وأحسن ولاية علينا"[32]، وقال توماس أرنولد[33]: "إن المسيحيين العرب الذين يعيشون بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح" [34]، يقصد الذين عاشوا ويعيشون إلى الآن، ويصرح بوضوح لا لبس فيه بأنه "يمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس على الإسلام. فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحَهم الحريةَ في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسةأن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم في أمن وطمأنينة"[35].

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه[36] في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)[37]: "إن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع صنوف التعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم، دون أن

يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن الذى لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطى الصارخ، وبعد فظائع الأسبان واضطهاد اليهود، وقد كتب بطريرك بيت المقدس في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب فقال: "إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أى عنف"، ومن أقوالها أيضا: "لا إكراه في الدين: تلك هى كلمة القرآن الملزمة، فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامى، وإنما بسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصرانى أن يظل نصرانيًا، ولليهودى أن يظل يهوديًا كما كانوا من قبل، ولم يمنعهم أحدٌ أن يؤدوا شعائر دينهم، ولم يكن أحد لِيُنزل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبِيَعِهم وصوامعهم وكنائسهم"[38]، وتقول في موضع آخر: "وبينما عاشت النصرانية في ظل الحكم الإسلامى قرونًا طوالاً – في الأندلس.. وفي صقلية.. والبلقان – فإن "انتصار النصرانية على الإسلام – في الأندلس سنة 1492م – لم يَعْن سوى طرد المسلمين واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصُّر، واستئناف نشاط محاكم التفتيش التى قامت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية دينًا، والحرق العلنى في احتفالات رسمية تحفُّها الطقوس والشعائر الكنسية لكل من اعتنق الإسلام أو اليهودية"[39]، وتقول أيضا: "وحين تمكن صلاح الدين الأيوبى من استرداد بيت المقدس (583هـ / 1187م) التى كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل (492هـ / 1099م) بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحة لا تدانيها مذبحةٌ وحشيةً وقسوةً، فإنه لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقامًا لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جُودِه ورحمته، ضاربًا المثل في التخلق بروح الفروسية العالية، وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف الفروسية النصرانية أى التزام خلقى تجاه كلمة الشرف أو الأسرى.. فالملك ريتشارد قلب الأسد (1157 - 1199م) الذى أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربى أن حياتهم آمنة، إذا هو فجأة متقلب المزاج فيأمر بذبحهم جميعًا[40]".

ويقول غوستاف لوبون[41]: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم "[42].

ويقول هنري شامبون (المجلة البرلمانية) (revue parlementaire) الفرنسية: "لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني، ولولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه لظلّت إسبانيا تنعم بسماحة الإسلام ولنجت من وصمة محاكم التفتيش ولما تأخّر سير المدنية ثمانية قرون، ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة، مدعوّون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية"[43].

ويقول أحد الكتّاب الأسبان، وهو ميشيل دي كاستيلو، في كتاب له بعنوان (أنا مسلم) مفتخرا بانتمائه للأندلس المسلمة، بعد أن يذكر مآثر المسلمين فيها وما قدّموه من خدمات لأوربا: "إنّ هذا الإرث الإسلامي الكبير لا أعتزّ به بصفتي مسلما فقط - أي أنتمي لهذه الحضارة الإسلامية- بل أعتبره مصدر اعتزاز وافتخار للإنسانية جمعاء"[44].

وقد ألف هنري دوكاستري كتابا بعنوان (الإسلام) رد فيه على الأوهام المتراكمة في أوروبا في حق الإسلام.

كما كتب فولتير الشاعر الفرنسي المعروف كتابا رد فيه على الأغاليط والضلالات التي ارتكبها كتاب القرون الوسطى في حق المسلمين.

ونقل دوزي المستشرق الهولندي[45] عن يوكارد الذي يعده دوزي أعرف سائح بأحوال العرب أنه قال عنهم: " إنهم أشد الأمم الآسياوية تسامحا".

وقال بيرون في كتابه (islamisme): "إن من أحسن فضائل المسلم أنه متسامح مع من يخالفه"[46].

وقد عاش أصحاب الديانات المختلفة عبر التاريخ في كنف المسلمين، وفي ظلّ الدولة المسلمة قرونا طويلة ينعمون بالأمن دون أن يزعجهم أحد أو يطردهم من البلاد أويحملهم بالقوة على اعتناق الإسلام، وكان إذا فكر ملك من ملوك المسلمين أو حاكم من حكامهم في مثل ذلك قام إليه العلماء وثنوه عن عزمه وبيّنوا له بأن ذلك مخالفة صريحة للإسلام، فيرجع امتثالا لأحكام الإسلام، إن

الإسلام كما يقول الشيخ الغزالي- رحمه الله-: "لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالإكراه عن عقائدهم أو المساس بأموالهم وأغراضهم ودمائهم، وتاريخ الإسلام في هذا أنصع تاريخ على وجه الأرض"[47].

وقد قرّر الفقهاء أنه لو أكره أحد على الإسلام فإنه لا يصح منه ذلك حتى يكون إيمانه عن قناعة تامة، قال ابن قدامة في المغني: "وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد ما يدل على إسلامه طوعا"[48].

إن المعاهد في بلاد الإسلام لا يعيش على هامش المجتمع بل يشارك ويخالط أفراده، وقد يسند إليه بعض الأعمال التي هي من صميم عمل أهل الإسلام، وصرح الإمام الماوردي أن الذمي يمكنه أن يتولى وزارة التنفيذ، وهناك لفتة لطيفة في لفظ أهل الذمة الذي سمى به المسلمون أهل الكتاب ممن دخل في ذمتهم، فهي تعني العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وهو عهد منسوب إلى الله تعالى وإلى الرسول ﷺ قال ابن الأثير: "وسمّوا أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم"[49].

هذه نماذج قليلة من أخلاق المسلمين في تعاملهم مع مخالفيهم، فماذا عن الآخرين في تعاملهم مع المسلمين عندما تمكنوا منهم؟

إن الأوروبيين عندما تمكنوا من المسلمين في الأندلس وفي غير الأندلس حملوهم على التنصّر بالقوة، وخاسوا العهود التي كانوا قد وقّعوها معهم على أن لا يمسّوهم بسوء ولا يخرجوهم من ديارهم وأموالهم، ولكن بعد مدة قصيرة لم تتجاوز ثلاث سنوات نقضوا كل تلك العهود وشنّوا حملات تنصير وطرد واستئصال على كل من يعتنق الإسلام يقول السلاوي: "ولما نقض صاحب قشتالة الشروط سنة 897م، وهي سبعة وستون شرطا عروة عروة ومنها إقامة شريعة المسلمين على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم إلاّ بشريعتهم وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك، إلى أن آل الحال لحملهم على التنصّر فتنصّروا عن آخرهم حاضرهم وباديهم"[50]، ويقول المقري التلمساني في (نفح الطيب)[51]: "ثم إن النصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة"، وقال: "وبالجملة فإنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة، وامتنع قوم من التنصر، واعتزلوا

الناس، فلم ينفعهم ذلك، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق وأندرش وغيرهما، فجمع لهم العدو الجموع، واستأصلهم عن آخرهم قتلاً وسبياً"[52] ويقول جوستاف لوبون عن الفضائع التي ارتكبها النصارى في الأندلس: "لما أُجلِي العرب (يقصد المسلمين) سنة 1610م، اتخذت جميع الذرائع للفتك بهم فقُتِل أكثرهم، وكان مجموع من قُتِلَ إلى ميعاد الجلاء ثلاثة ملايين من الناس، في حين أن العرب (المسلمين) لما فتحوا أسبانيا تركوا السكان يتمتعون بحريتهم الدينية، محتفظين بمعاهدهم ورياستهم، غير مكلفين إلاّ بدفع الجزية، وهي مقدار ما كانوا يبذلون لملوك القوط، وقد بلغ من تسامح العرب (المسلمين) طول حكمهم في أسبانيا مبلغا قلما يصادف الناس مثله هذه الأيام"[53]، وهذه صورة أخرى مما ارتكبه الصليبيون في القدس ينقلها لنا الرجل في كتابه (حضارة العرب) أيضا فيقول: "كان أول ما بدأ به ريكاردوس الإنجليزي أن قتل أمام عسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير سلّموا أنفسهم إليه بعد أن قطع العهد على حقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب مما أثار صلاح الدين الأيوبي النبيل، الذي رحم نصارى القدس فلم يمسّهم بأذى، والذي أمدّ فليب وقلب الأسد بالمرطّبات والأدوية والأزواد أثناء مرضهما"[54].

وهذه صورة أخرى ينقلها لنا مسيحي آخر يدعى يورجى عما ارتكبه الصليبيون من مذابح في حق المسلمين عندما دخلوا بيت المقدس، يقول: "ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوإ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها، وقد أسرفوا في القسوة، أما صلاح الدين فلما استردَ بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين ووفّى لهم بجميع عهودهم، وجاد المسلمون على أعدائهم، ووطّؤوهم مهاد رأفتهم حتى أن الملك العادل شقيق السلطان، أطلق ألف رقيق من الأسرى، ومنّ على جميع الأرمن، وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهنَ"[55].

ولقد كان في إسبانيا ملايين المسلمين وكان في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا وجنوبيها الألوف منهم، وقد لبثوا في تلك البقاع دهرا طويلا وقرونا عديدة ومازالوا يستأصلونهم منها منذ أن تغلّبوا على تلك الديار حتى لم يبق منهم شخص واحد يدين بالإسلام وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة: 8) وإذ يقول: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا

إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (الممتحنة: 2)، وهي آية صريحة في أن هؤلاء "لا تعرض لهم فرصة يتمكّنون فيها من المسلمين حتى يتصرّفوا معهم تصرّف العدو الأصيل، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة وكل سبيل، إنهم يتظاهرون للمسلمين في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم بالمودة، وينخدع بهم المسلمون فيمنحونهم الودّ والثقة، ولكنهم في حقيقتهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والكيد"[56].

ولعلّ من أغرب الحقائق في هذا الجانب هو ما ذكره أحد وزراء الدولة العثمانية حين زار إسبانيا فكان مما قاله: "لقد طفت بلاد إسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم"[57]، هل هناك أغرب من هذا؟ حتى القبور طمسوها واستأصلوها حتى لا يقال إنه كان هنا مسلمون، وكانت لهم حضارة، مع أن المسلمين كانوا هناك بالملايين، وعاشوا فيها ثمانية قرون كاملة، وأقاموا فيها حضارة عظيمة مازالت شواهدها قائمة إلى الآن، رغم الطمس المتعمد الذي قام به الأوروبيون على كل ما هو إسلامي، في الوقت الذي مازالت بلاد الإسلام تعجّ بقبور أهل الديانتين المسيحية واليهودية، وما زالت كنائسهم قائمة لم تمس بأذى ولم تتعرّض للهدم أو للتحويل كما فعلوا هم عندما تغلبوا على الأندلس والجزائر[58]، من تحويل المساجد إلى كنائس وإسطبلات لدوابهم. يذكر البكري في تاريخه أنه "كان في القرن الثاني عشر الميلادي في تلمسان، وهي مدينة جزائرية، كنيسة وطائفة من المسيحيين ولم يحملوا على الإسلام بل اختاروا هم طواعية أن يدخلوا فيه بعدما رأوا من تسامح المسلمين مع أصحاب الديانات الأخرى، حتى كان المجوس وهم عبدة النار يقيمون شعائرهم علنا على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحاكم".

والأعجب من ذلك هو أن المسلمين كانوا يستوزرون اليهود والنصارى في حكوماتهم، يذكر المؤرخ المصري محمد لبيب البتنوني في كتابه (تاريخ الأندلس) أن "الخلفاء كانوا وهم في قوتهم يحترمون عقائد شعوبهم وكان الحكام يوظّفونهم في حكومتهم فكان منهم الوزراء والأطباء، وكان المتوكل العباسي على صلابته في دينه يؤاخذ النصارى على عدم تمسّكهم بدينهم كما فعل مع طبيبه حنين وكان بلغه أنه تفل على صورة السيدة العذراء فحدّه وسجنه، وفي أيام المعتضد بالله قامت العامة على رجل من النصارى اتهموه بأنه

سب النبي وأحضروه بين يدي الوزير القاسم بن عبيد الله وطالبوه بإقامة الحد عليه فصرفهم لعدم تحققه من صحة دعواهم، وصلب الخليفة الحكم بن ناصر أحد عماله لأنه بلغه أنه ظلم أحد أهل الذمة"[59]، ويذكر ابن خلدون أنه كان عند المرابطين جيش من المسيحيين وكان قائدهم مسيحيا، وهذا الأمر لم يكن عند المرابطين فقط بل كان معمولا به في جميع البلاد الإسلامية، حيث كان الحكام يستخدمون جندا من النصارى وكان هؤلاء يتمتّعون بجميع حريتهم الدينية ويقيمون شعائرهم وإذا ذهبوا إلى الحرب يكونون جيشا مستقلا بنفسه بين جيوش المسلمين، ومما يذكر في هذا الشأن ما ذكره **ماسل تري** وهو أحد الكتاب الأوروبيين من أنّ الأوربيين الذين كانوا في المغرب تكاثر عددهم سنة 1223م فاستأذن البابا هويوريوس الثاني من سلطان المغرب في ذلك العهد أن يجعل على رأسهم أسقفا فأذن له.

ولما جاء القديس لويس ملك فرنسا يحاصر تونس، كان في جيش المستنصر الحفصي أمراء من المسحيين مثل **فريدريك القشتلي** و**فريدريك لانرا**، وكان جميع هؤلاء النصارى يعيشون بين المسلمين مع عائلاتهم، وكثيرا ما تزوج أمراء مسلمون بمسيحيات ويهوديات، وحسبك من ذلك أن عبد العزيز بن موسى بن نصير، فاتح الأندلس، تزوّج من أرملة لوذريق ملك الأندلس الذي غلبه العرب وتزوّج عثمان بن أبي نسعة بالأميرة لامبيجيا ابنة الدوق أكيتانيا وغير ذلك كثير.

وعندما مُكِّن للمسلمين في البلاد الأخرى وأصبحوا هم سادة الدنيا لم يطغوا ولم يتجبّروا بل عاملوا أصحاب الديانات الأخرى بالحسنى، بل إن الإسلام هو الذي أنقذهم مما كانوا يعانونه من اضطهاد الأمم الأخرى التي كانوا يخضعون لها.

هذه العناصر من جانب الإسلام تؤكد على أن الإسلام ليس لديه مشكلة في الحوار مع الغرب فهو قد مارسه وحث عليه ومارسه أتباعه عبر العصور.

هذه العناصر يضاف إليها عنصر العولمة، الذي يعني مما يعنيه، أن العالم أصبح قرية صغيرة، وأصبح التعاون بين سكانه على اختلاف جنسياتهم وأديانهم ومذاهبهم، فضلا عن الحوار بينهم للتعاون والتفاهم ليعيش الجميع في هذا العالم في أمن وسلام وليمارس كل واحد ما يعتقده في حرية وليعين الأغنياء منهم الفقراء والمعوزين وليفتح باب الحوار واسعا بين أصحاب الديانات المختلفة

للبحث عن الحقيقة والوصول إليها، يصبح هذا كله ممكنا أكثر من أي وقت مضى، والإسلام كما ذكرت وكرّرت ذلك مرارا في هذا البحث ليس لديه مشكلة في التحاور مع الآخرين والتعاون معهم والله تعالى إنما خلق الخلق من أجل ذلك، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(الحجرات: 13) وهي آية تدل على أن الغاية من خلق الخلق وجعلهم شعوبا وقبائل ليست هي التناحر والخصام وإنما التعارف والوئام.

3. معوّقات الحوار بين الإسلام والغرب:

بعدما تحدّثت عن محفّزات الحوار، وبيّنت أن الإسلام هو دين الحوار، لأن نصوصه القرآنية والحديثية أو ما يسمى بالجانب النظري فيه يشهد بذلك، وأيضا الجانب العملي يشهد به، فهو قد مارسه ومارسه أتباعه وطبّقوه أحسن تطبيق عملا بأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ وكما قلت فإن هناك عنصرا آخر أضيف لهذه العناصر وكان من المفروض أن يزيد في قوتها ومتانتها، وهو عنصر العولمة، إلا أن الواقع يشهد عكس ذلك تماما، فهذا العنصر مثله مثل عنصر النظام العالمي الجديد وهما مصطلحان غريبان ظهرا معا، استغلّهما الغرب والدول الكبرى والقوية فيه للسيطرة على العالم واحتلاله ونهب ثرواته والتدخل في شؤون الدول، وتحت مظلة العولمة، ومظلة النظام العالمي الجديد وتحت مظلات أخرى- أيضا- أصبحت تستباح دول وتسرق ثرواتها وتحتل أراضيها وتنتهك سيادتها.

وإذا كان هناك من أحد يعرقل الحوار بين الإسلام والغرب، ويضع أمامه الحواجز والعوائق ويمنعه من أن يمضي في طريقة ليحقق أهدافه وليعيش الناس جميعا في هذا العالم في أمن وسلام، فهو الغرب الذي يرفض الحوار مع المسلمين، وإن كان في الظاهر يدعو إليه ويرفع شعاره، ولكنه في حقيقته يرفض الحوار الجدي الذي يؤدي إلى نتيجة تنصف المسلمين وتعطيهم حقوقهم.

كيف يمكن أن يقوم حوار مع الغرب وهو لا يعترف بدين المسلمين ولا بنبيّهم ولا يقيم لهم وزنا، ولا ينظر إليهم إلا من خلال النظرة الاستعمارية والصليبية القديمة التي تعامل بها معهم عبر العصور، إن الغرب نسي كل الأفضال التي أغدقها عليه الإسلام عندما كان المسلمون هم سادة الدنيا، وعندما كان الغرب يعيش في جاهلية وظلمة، نسي كل تلك الأفضال وأسدل عليها ستارا

كثيفا من النسيان، بل قابل ذلك كله باحتلال أراضي المسلمين ونشر الجهل والفقر فيهم، ونهب ثرواتهم والتدخل في خصوصياتهم من دين وأخلاق وقيم ونظم وهوية وما إلى ذلك، ونشر الفساد فيهم.

إن الغرب يرفض أن يعترف للإسلام والمسلمين بأنهم كانوا يوما سادة الدنيا ويرفض أن يعترف بأنه تلقى عنهم شيئا، فهو يعتبر نفسه الأستاذ دائما الذي يؤخذ عنه، وقد اعترف بهذا حتى مفكروه وعلماؤه، فهذه صوني بسيس وهي كاتبة فرنسية تقول في كتاب لها بعنوان: (الغرب والآخرون: تاريخ من الهيمنة): "إنه لا يمكن أن يكون هناك حوار حقيقي مع الغرب ما دام هذا الغرب متشبثا بنظرته التقليدية إلى الآخرين، فهو ما زال ينظر إلى الإسلام والمسلمين بمنظار الهيمنة والتفوق والاستعلاء وعليهم أن يقبلوا بذلك وينصاعوا له لأنه الأستاذ الذي يجسد القيم الكونية ويعلمها للآخرين" وتضيف الباحثة قائلة: "إنه ما دام الغرب يعتقد ذلك فإنه يستحيل أن يحصل حوار جدي بين الحضارات"[60]. لقد أصبحت إدانة الإسلام جزءا لا يتجزأ من العقلية الأوروبية، كما يقول مراد هوفمان في كتابه عن الإسلام، ويضيف: "سيكون وهما إذا اعتقدنا تلاشي الروح الصليبية".

إن الغرب هو الذي يرفض الحوار الجاد مع المسلمين، وما يحدث اليوم من حوار ما هو إلا شعارات جوفاء ليس لها حقيقة في الواقع، لأنه لا يمكن أن يقوم حوار فعلي والغرب مازال يحتلّ أراضي المسلمين في العراق وفلسطين وأفغانستان ومناطق كثيرة أخرى ويهدد دولا باحتلالها، ويدعم الدول التي تحتل أراضي المسلمين كما يفعل مع إسرائيل التي يعطيها الضوء الأخضر لتفعل بفلسطين وأبناء فلسطين ما تشاء وكما فعل من قبل مع الصرب، وكيف يمكن أن يحصل حوار جادّ مع الغرب وهو يتهم الإسلام بأنه دين عنف وإرهاب، ويصف المسلمين بأنهم إرهابيون ومتخلّفون ووحوش، ويقدم الإسلام للناس على أنه دين إرهاب كما فعل بعد 11 سبتمبر، عندما استمر يبث صورا لشباب ملتحين على أن هذا هو الإسلام فاحذروا منه، والدليل على أن الغرب مازال يتعامل مع الإسلام بالأسلوب التقليدي وبالنظرة الصليبية هو رفضه لكي تنضم تركيا كعضو في الإتحاد الأوروبي رغم قبول تركيا بكل الشروط تقريبا التي شرطوها عليها، ورغم أننا نرى في كل عام دولا جديدة تنضم إلى هذا الإتحاد وبدون شروط، والسبب هو أن تركيا دولة إسلامية، وأنها دولة احتضنت الخلافة الإسلامية لمدة طويلة، هذا هو السبب

الحقيقي لرفض انضمامها إليهم. وحتى المنظمات الدولية التي تدعي أنها مظلة لكل الشعوب أصبحت خاضعة للدول الغربية ولقراراتها الظالمة، فهي دائما مع المحتل، وقراراتها دائما تأتي لصالح الدول الكبرى ضد الدول الضعيفة والضحية، فهي تؤيد الولايات المتحدة فيما تفعله في العراق وأفغانستان وغوانتانامو وتؤيد إسرائيل فيما تفعله في فلسطين.

وما نراه من حين لآخر من حملات تشويه ضد الإسلام وضد رسول الإسلام ﷺ فيخرج علينا بابا الفاتيكان السابق (فينيديكت) بكلام يتهم فيه رسولنا محمدا ﷺ بأنه لم يقدم شيئا خيّرا للعالم، وإنما قدم له العنف، وهذا كلام قديم قاله أسلافه من قبل وهم الآن يرددونه ويتبنونه، واتهم المسلمين بأنهم انتصروا بالسيف، وهذا كلام يكشف عن حقد كبير تجاه هذا الدين ورسول هذا الدين- عليه الصلاة والسلام- ومرة تأتي هذه الحملات في شكل صور كريكاتورية تستهزئ برسول الإسلام وتصوّره بصور غير لائقة، كما حدث في الدانمارك قبل عدة سنوات، ومرة في شكل تصريحاتن ومرة خرجت في شكل كتب تجرّم الإسلام ونبيه ﷺ كما فعل جدّ بوش الحالي، وتصف القرءان بأنه كتاب يدعو إلى العنف ويسعى إلى نشر ثقافة الحقد ضد الغرب، ومرة تكون في شكل آخر، فقد ذكرت الصحف أن شركة في إيطاليا مختصة في صناعة أغطية المراحيض أنتجت قبل مدة أغطية مكتوبا عليها آية الكرسي. فكيف مع هذا كله نريد أن يقوم حوار جدي وفعال مع الغرب؟ أيضا: أحد الزعماء اليمينيين من النرويج يتهم النبي ﷺ بأنه مغرم يحب الصبيان بدليل زواجه من عائشة وهي طفلة صغيرة[61].

أحد النواب اليمينيين الهولنديين أعلن أنه سينتج فيلما عن الإسلام سيحرق فيه القرءان الذي وصفه بأنه كتاب رهيب وقاس، وأنه لا يختلف عن كتاب هتلر (كفاحي)[62]، وغيرها من الإساءات التي يقومون بها ضد الإسلام والمسلمين.

لقد احتل الغرب أراضي المسلمين لعدة قرون كان من المفروض أن يستفيد منها في تغيير نظرته إلى الإسلام، ويتخلى عن موقفه العدائي تجاه المسلمين، لأنه خالطهم ورآهم عن قرب واطلع على تراثهم وثقافتهم ودينهم، ولكنه للأسف لم يفعل، بل لم تزده تلك القرون إلا حقدا على الإسلام وأهله، وعزما على

استئصال شأفتهم، وكما ذكرت فإن العنصر الجديد الذي ظهر أخيرا وهو العولمة لم يفد في تغيير نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين.

وهذا الأسلوب في تعامل الغرب مع الإسلام والمسلمين ليس جديدا، بل هو امتداد لأسلوبه القديم. فمنذ أن جاء الرسول ﷺ واليهود والنصارى وغيرهم يكيدون له ويحيكون المؤامرات ضده، وقد سلكوا في ذلك كل الطرق واستعملوا كل الوسائل من محاولة قتله ﷺ وقد حاولوا ذلك مرارا وتكرارا، إلى اتهامه ﷺ بالجنون مرة وبالكذب أخرى، وبكل ما من شأنه أن يشوّه صورته ويقضي على دعوته، وخاسوا العهود التي وقّعوها معه ومع أتباعه من بعده، وقد كشفهم الله تعالى في القرءان في عدة مواضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (البقرة 217) وهو تعبير يدل على الاستمرارية، ومن تلك الطرق والأساليب الطعن في القرءان الكريم بأنه ليس من عند الله ولا هو موحى به ولا هو معجز، بل هو نسخة منقولة من التوراة والإنجيل، وطعنوا في السنة النبوية وفي الشريعة الإسلامية ككل.

ثم لما تمكنوا بعد ذلك شنّوا على المسلمين الحروب الصليبية التي ارتكبوا فيها من الجرائم والفظائع في حق المسلمين ما لا يمكن وصفه وتصوره، وهو الأمر الذي اعترف به كتّابهم ومفكروهم، ولقد قامت هذه الحروب بحجة تطهير القبر الطاهر- المقصود قبر عيسى عليه السلام- من الأمة غير الطاهرة (أي الأمة المسلمة)، وقد وصف أبو الفداء في تاريخه دخول الإفرنج إلى بيت المقدس بقوله: "ولبث الإفرنج يقتلون في المسلمين بالقدس أسبوعا وقتل من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألف نفس منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن جاور في ذلك الموضع الشريف وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء"[63].

ومما ذكروه من تلك الفظائع التي ارتكبوها أنهم كانوا لا يمرون على مدينة في طريقهم إلى القدس إلا ارتكبوا فيها من الفظائع ما لا يمكن وصفه كما فعلوا بأهل أنطاكية عندما مروا عليها، وقد أشرت من قبل إلى ما فعلوه في الأندلس عندما تغلّبوا عليها، فقد نقضوا العهد الذي كتبوه للمسلمين من أنهم لا يمسونهم بسوء، وحملوهم على اعتناق النصرانية بالقوة وأقاموا لهم محاكم التفتيش وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم حتى لم يبق في الأندلس كلها

مسلم واحد يدين بدين الإسلام إلا من تخلى عن دينه واعتنق النصرانية، ثم ما وقع بعد ذلك للمسلمين الذين رفضوا التخلي عن دينهم من قتل وتشريد في الأرض بحثا عن من يستقبلهم ويخفف من معاناتهم، وقس هذه الصورة بتلك الصورة المشرقة من تاريخ الإسلام في الوفاء بالعهود امتثالا لأمر الله تعالى في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ (المائدة: 1)، وقوله: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء: 34)، وجعل من صفات المؤمنين الوفاء بالعهود فقال: ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾(البقرة: 177) وقال: ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ ﴾ (التوبة: 4)، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: "**إني لا أخيس بالعهد**"[64] أي: لا أخون العهد، هذه هي الأخلاق التي جاء بها الرسول ﷺ والتي تقيد بها هو وأتباعه حتى في أحلك الظروف. يذكر المؤرخ المصري محمد لبيب البنتوني في كتابه (رحلة الأندلس) من بين ما يذكره من أمجاد المسلمين في الوفاء بالعهد مع غير المسلمين، أنه لما فتح المسلمون العراق هربت قبيلة إياد _ وكانوا نصارى _ إلى بلاد الروم، فكتب عمر بن الخطاب إلى هرقل بردّها فردّها هرقل"[65]، وروى البلاذري في فتح قبرص أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان أجلى خلقا من أهل قبرص إلى الشام لأمر اتهمهم به فأنكر الناس عليه ذلك فردهم إلى بلدهم[66] فقس هاتين الصورتين بما فعله النصارى بمسلمي الأندلس عندما غلبوا عليها، ثم بعد ذلك، ماذا فعلوا؟ لقد قسموا العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة وفتتوا وحدته ثم تقاسموه فيما بينهم، فاحتلت كل دولة من الدول الكبرى مجموعة من الدول الإسلامية ونهبوا خيراتها وأبادوا شعوبها ونشروا في هذه الدول الفقر والجهل والأمراض المختلفة، وما فعلته فرنسا في الجزائر وإيطاليا في ليبيا ليس ببعيد عنا، واليوم نرى جميعا ماذا يفعل الغرب بالعالم الإسلامي والعالم العربي من احتلال وإبادة وتهديد ومن فرض عقوبات عليه، كل ذلك يحدث تحت مظلة الشرعية الدولية، فهل يمكن أن يكون هناك حوار جاد وفعال في ظل هذا الواقع على المسلمين من قبل من ندعى إلى التحاور معهم ونتهم بأننا نحن الذين نضع الحواجز في طريقه، فمن الذي يرفض الحوار حقيقة؟.

إنه لا يمكن أن يقوم حوار جدي حقيقي مع الغرب إلا إذا تخلى عن إساءته إلى الإسلام وإلى كتاب المسلمين أي القرآن الكريم، وتوقف عن التحرش

بالمسلمين واستفزازهم، وعاملهم على أنهم بشر لهم الحق في الحياة الكريمة ولهم الحق في الاستقلال ومقاومة المحتل، هذا هو الشرط الذي يضمن للحوار أن يصل إلى غايته ويحقق أهدافه.

فهرس المراجع:

1- القرآن الكريم

2- إتمام الوفا في سيرة الخلفاء الراشدين للشيخ الخضري بك، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت

3- البداية والنهاية لابن كثير، طبعة دار الفكر- بيروت.

4- التعصّب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي

5- تفسير ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دارطيبة للنشر والتوزيع، ط2 1999/1420

6- تفسير الإمام الرازي " مفاتيح الغيب" طبعة دار الفكر – بيروت- الطبعة الثالثة 1985/1405

7- تفسير القرطبي، طبعة وزارة الثقافة المصرية 1967/1387

8- جريدة الشرق الأوسط 2002/1/24، 2002/3/12.

9- حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثروب ستودارد المريكي، تعليق: شكيب أرسلان، ترجمة الأستاذ عجاج نويهض، نشر: دار الفكر، ط4 (1394هـ/1972م).

10- حياة التابعين لعبد الرحمن باشا، طبعة دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط5

11- الخراج لأبي يوسف، طبعة دار المعرفة – بيروت- 1399

12- درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سلم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى 1979/1399

13- سنن أبي داود بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر

14- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق عبد القادر عطا، طبع دار، مكة المكرمة 1994/1414

15- سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية 1955/1375

16- شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه، مطبعة دار صادر – بيروت- ط1/1423 ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي.

17- صحيح البخاري بتحقيق مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، بيروت، ط3 1987/1407

18- صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني طبع مكتبة المعارف- الرياض- الطبعة الخامسة.

19- صحيح مسلم بعناية الأستاذ فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط1، 1955/1374

20- فتوح الشام للواقدي، طبعة دار الجيل

20- في ظلال القرآن لسيد قطب طبعة دار الشروق- بيروت- ط7 1987/1398

21- الكافية في الجدل للإمام الجويني، تحقيق د. فوقية حسين، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة 1979/1399

22 – لسان العرب لابن منظور، طبع دار صادر- بيروت-

23- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة لحميد الله

24- مسند الإمام أحمد دار قرطبة القاهرة

25- معجم البلدان لياقوت الحموي طبع دار الكتاب العربي – بيروت-

26- المغني لابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن التركي، طبع جامعة افمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ الملكة العربية السعودية.

27- موطأ الإمام مالك برواية الليثي، ط دار مسند أحمد

28- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني بتحقيق د. إحسان عباس، طبع دار صادر- بيروت- 1968/1388

29- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير بتحقيق د. محمود محمد الطناحي، طبع المكتبة الإسلامية.

الهوامش:

---

(1) لسان العرب لابن منظور217/4.

(2) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م. (525/1)

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث 112، ورواه الإمام أحمد في مسنده رقم: 21465.

(4) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر) رقم: 60،

(5) رواه البخاري في كتاب الأدب (باب ما ينهى من السباب واللعن) رقم 6045.

(6) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأدب (باب في حسن الخلق) رقم الحديث 4802 وحسّنه الألباني، ورواه البيهقي في سننه249/10.

(7) تفسير القرطبي، طبعة دار الكتاب 286/3.

(8) درء تعارض العقل والنقل 167/7- 168.

(9) الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني، بتحقيق د. فوقية حسين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1979/1399، ص22- 23.

(10) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أنّ صدر آل عمران إلى بضع وثمانين آية نزلت في وفد نجران " انظر تفسير ابن كثير (48/2).

(11) تفسير الإمام الرازي عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران 64) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة: الثالثة - 1420 هـ (251/8).

(12) تفسير سيد قطب "في ظلال القرءان" الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ (828/2).

(13) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي نشر دار الوراق - بيروت ـ ط1 (1420هـ/1999م) (ص 133).

(14) أي لا يهلك إلاّ نفسه.

(15) سيرة ابن هشام 501/1، البداية والنهاية لابن كثير 224/3، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور حميد الله

(16) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّ يَهُودِيَّةً، مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً ثُمَّ أَهْدَتْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الذِّرَاعَ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ

أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ" وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا، فَقَالَ لَهَا "أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ" قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ "أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي" لِلذِّرَاعِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ "فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟ " قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا، وَتُوُفِّيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَاحْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَى كَاهِلِهِ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ، حَجَمَهُ أَبُو هِنْدٍ بِالْقَرْنِ وَالشَّفْرَةِ، وَهُوَ مَوْلًى لِبَنِي بَيَاضَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ. رواه أو داود في الديات (باب فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيُقاد منه) رقم: 4510. وأخرجه الدارمي في دلائل النبوة (باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ من كلام الموتى) رقم: 68.

(17) المغني لابن قدامة، بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي 200/13.

(18) رواه البخاري في كتاب الجزية (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب) رقم الحديث 3167، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير (باب إجلاء اليهود من الحجاز) رقم 1765.

(19) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى (باب عيادة المشرك) رقم الحديث 5657.

(20) رواه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع (باب شراء الإمام الحوائج بنفسه) رقم الحديث 2096.

(21) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة رقم الحديث 1252.

(22) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجزية والموادعة (باب إثم من قتل معاهدا) رقم الحديث 3166.

(23) رواه الدارمي بإسناد صحيح لكنه مرسل رقم الحديث 15، وهو في مسند البزار برقم 9205 مرسلا أيضا. ورواه الطبراني في الأوسط رقم 2981.

(24) الواقدي في فتوح الشام، طبعة دار الجيل، 8/1.

(25) رواه البخاري في كتاب الجنائز (باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما) رقم الحديث 139.

(26) انظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص36.

(27) انظر كتاب الخراج لأبي يوسف، طبعة دار المعرفة –بيروت- 1399، ص125.

(28) إيليا: بكسر أوله واللام والياء وألف ممدودة اسم مدينة بيت المقدس، انظر: معجم البلدان ج1 مادة: الهمزة والياء وما يليها.

(29) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الخضري بك، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ص101.

(30) البداية والنهاية لابن كثير، طبعة دار الفكر –بيروت- 13/2.

(31) كتاب الخراج لأبي يوسف، طبعة دار المعرفة –بيروت- 1399ص 25.

(32) تاريخ دمشق لابن عساكر 130/41، بتحقيق عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995م.

(33) توماس أرنولد مستشرق بريطاني، ولد في إنجلترا في 19 أبريل سنة 1864م، وتعلم بها، اجتذبته الدراسات الشرقية، من مؤلفاته عن الإسلام كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ألفه سنة 1896م، توفي سنة 1930 م. انظر ترجمته في رسالة د. خالد بن عبد الله القاسم (منهج المستشرق توماس آرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام: عرض ونقد.

(34) الدعوة إلى الإسلام ص 70.

(35) الدعوة إلى الإسلام نقله إلى العربية حسن إبراهيم حسن وآخرون، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط3 (1971م) ص 65.

6 هى المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه وهي ابنة الناشر هاينريش هونكه، وزوجها هو المستشرق الألمانى الدكتور شولتزا، ولدت سنة 1913، درست علم أصول الأديان ومقارنة الأديان والفلسفة وعلم النفس والصحافة، تناولت دراسة الأديان بموضوعية وتعرف بإعجابها بالإسلام والعربية توفيت سنة 1999م.

(37) شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه، مطبعة دار صادر – بيروت، ط10 /1423، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ص264.

(38) الله ليس كذلك لزيغريد هونكه صـ 41.40.

(39) المرجع نفسه صـ 50

(40) المرجع نفسه

(41) غوستاف لوبون مستشرق، (7 مايو 1841 - 13ديسمبر 1931) طبيب ومؤرخ فرنسي، من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند، "حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" وغيرها، هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

(42) حضارة العرب لغوستاف لوبون ص 720.

(43) نقلا من (كتاب حياة التابعين) لعبد الرحمن باشا، طبعة دار الأدب الإسلامي – القاهرة- ط5 ص 420

(44) من مقال لعبد الهادي أبي طالب في جريدة " الشرق الأوسط " ليوم 2002/1/24

(45) مستشرق هولندى وأستاذ العربية في كلية الآداب في جامعة لَيْدَن، اشتهر بدراسة تاريخ بلاد الأمازيغ والأندلس. ولد عام 1820م وتوفي سنة 1883م أ هرها تكملة المعاجم العربية أو المستدرك.

[46] انظر هذه الأقوال في (حاضر العالم الإسلامي مقال لشكيب أرسلان بعنوان "التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي" الأول هو الأشد لشهادة شهود أهله.

[47] التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ الغزالي ص6.

[48] المغني لابن قدامة، مرجع سابق، 291/12.

[49] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مرجع سابق 56/2

[50] السلاوي في كتابه الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصا

[51] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت (1997م) (527/4).

[52] م، ن

[53] حضارة العرب لجوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر صـ 279.

[54] م. ن.

[55] حاضر العالم الإسلامي مرجع سابق (57/2).

[56] في ظلال القرآن (3541/6).

[57] انظر مقال شكيب أرسلان (التسامح والتعصب بين الإسلام وأوربة) ضمن كتاب (حاضر العالم الإسلامي) (238/1).

[58] كان في الجزائر العاصمة وحدها قبل احتلال فرنسا لها سنة 1830م، مائة واثنا عشرة مسجدا، لم يبق منها بعد الاحتلال سوى أربعة فقط، والبقية كلّها حوّلت إلى اصطبلات لدوابّهم، أو لأغراض أخرى.

[59] نقلا عن كتاب حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق 56/2.

[60] انظر: جريدة الشرق الأوسط العدد 8505، تاريخ 2002/3/12.

[61] جريدة القدس العربي 2008/01/18.

[62] القدس العربي 2008/01/19.

[63] نقلا عن كتاب "حاضر العالم الإسلامي" (238/2).

[64] حديث "إني لا أخيس بالعهد" أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد (باب في الإمام يستجنّ به في العهود) رقم الحديث 2758، وابن حبّان في صحيحه 37/3 من حديث أبي رافع، والحديث صحّحه الشيخ الألباني.

[65] نقلا عن حاضر العالم الإسلامي (55/2).

[66] المصدر نفسه.